وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الثالث

محفوظة
جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN: 9789922778341

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) – الطبعة الأولى – كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. – (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – في القرآن – مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) – دراسة.
٤. الإسلام والسياسة – مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) – مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع – مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الثالث، (٥٣٨ صفحة)، ٢٤ سم.
١ .الإمام الحسين بن علي عليهما السلام – الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٣) – لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ أقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم
م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية
أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين
م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي
م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي
أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

الأثرُ القرآني لأمير المؤمنين عليه السلام في العلوم القرآنيّة جامعيّة القرآن انموذجًا ١١

أ.م.د. أصغر طهماسبي البُلداجي

تأثيرُ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في سياسةِ الحكمِ الرشيدِ والعلومِ القانونيّةِ..... ٤١

أ.م.د إقبال عبد الله أمين

الأبعاد القرآنيّة الأخلاقيّة والإيقاعيّةفي حِكَمِ الإمام عليّ عليه السلام..... ٦٣

أ. م. د. تومان غازي حسين فتات الخفاجي

الاستراتيجياتُ القرآنيّة في خطبِ الحربِ والجهادِ للإمامِ عليّ عليه السلام قراءةٌ استشرافيّة ١١٣

أ.م.د. رحيق صالح فنجان

الموجّهات التفسيريّة عند الإمام عليّ عليه السلام ١٣٣

أ.م. د. رياض عبد الرحيم حسين

أثر القيم الدينيّة في النشاط الاقتصاديّ نموذج القيم الإسلاميّة عند الإمام عليّ عليه السلام .. ١٦٥

أ.م.د عدنان حسن موسى سلمان العبيدي/ أ.م.د حسين علي ريس المشهدانيّ

الرقابةُ الاقتصاديّةُ وضمانُ سعي الإنسانِ رؤية في فكر الإمام عليّ عليه السلام ١٨٧

أ.م. د. علاء حسن مردان اللاميّ

الإمام علي عليه السلام مفسِّرا: الغيبيّات أنموذجًا ٢١١

أ.م.د. مها طالب عبد الله الجبوريّ

المنهجُ الاقتصاديّ للإمامِ عليّ عليه السلام من خلالِ القرآنِ الكريمِ والسنّةِ النبويّةِ ٢٣٩

أ.م.د. ميثم عزيز ثجيل الهلاليّ

المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ) دراسة تحليلية ٢٦٧

أ.م.د. هاشم جبار الزرفي

المسائل القضائيّة للإمام عليّ بن أبي طالِب عليه السلام (ت٤٠ هـ/ ٦٦١ م) في الحدود والقصاص دراسة، فقهيّة، قضائيّة، تأريخيّة، وصفيّة ٢٩٧

أ.م.د. ياسين رشيد الزيباريّ

أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني على الخطابة العربية ٣٢١

أ.م.د ماجد مهدي ذياب السلطاني/ م. د. نادية سالم عيسى

المشكلةُ الاقتصاديّةُ والإمامةُ من منظورٍ أقتصاديّ وإسلاميّ معاصرٍ (الإمام عليّ عليه السلام أنموذجا) ٣٤٣

م.د أحمد إبراهيم حسين علي العبيديّ/ م. م. هبة قاسم زويد الموسويّ

الأثرُ القرآنيُّ في سياسةِ الحكمِ الرشيدِ عندَ الإمامِ عليّ عليه السلام ٣٦٧

م.د أركان ناهي موسى/ م.م ناجح كريم جودة

المرجعيات القرآنيَّة في نهج البلاغة دراسة في ضوءِ تحليلِ الخطابِ قراءة في نماذج .. ٣٩٣

م. د عماد طالب موسى جاسم

العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في خطب الإمام عليّ عليه السلام ٤٢٩

م .د. زينة عبّاس فاضل / الباحثة: زينب كامل جواد

الأثرُ الفكري للإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في تفسيرِ القرآنِ الكريمِ / دراسةٌ تاريخيّةٌ ... ٤٥٩

م. د. زيد كميل جواد سماوي الفتلاوي

لفظةُ (الصادقين) في القرآنِ الكريمِ / دراسةٌ تحليليّةٌ ٤٨١

م.د. سرمد محمد بكر / م.م. مرفد محمد بكر

تمثُّلاتُ الشاهدِ القرآنيِّ في نهجِ البلاغةِ..... ٥٠١

م. د. مكاسب عبادي عبود سلمان

أثرُ أميرِ المؤمنين عليّ عليه السلام في نشرِ الأخلاقِ الإسلاميّةِ وتعزيزِها دراسةٌ في الحكمةِ والإرشادِ ٥١٩

م. د. مصطفى حسين عبد الرسول

العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في خطب الإمام عليّ عليه السلام

م .د. زينة عبّاس فاضل
الباحثة: زينب كامل جواد
مديرية تربية القادسية

الملخّص:

يعنى هذا البحث ببيان التطبيقات القرآنية الاجتماعية في خطب الإمام عليّ عليه السلام، فالمتدبّر في الآيات القرآنية الكريمة، وخطب أمير المؤمنين المتعلقة بالجانب الاجتماعي والسياسي والحربي يجدها مليئة بتلك الدلالات والتوافقات .

اقتضت طبيعة البحث أن يدرس بالتحليل والمقارنة تلك الجوانب الأساسية للحياة اليومية في المجتمعات كافة؛ كونها أساس الوجود والتعايش، حيث تحدّد كيفية التعامل مع القادة، أو الرعية، أو الأقارب، أو أهل الدين الواحد، أو من كان على دين آخر، أو الأعداء في الحرب أو السلم، فضلًا عن أبرز التوجيهات الحربية القرآنية، وكيف طبّقها الإمام عليّ عليه السلام في حروبه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، خطب الإمام عليّ عليه السلام ، العلاقات الاجتماعيّة.

Abstract:

This research focuses on elucidating the social Quranic applications within the sermons of Imam Ali (PBUH). A careful contemplation of the Holy Quranic verses and the sermons of the Commander of the Faithful—particularly those pertaining to social, political, and military aspects—reveals a profound wealth of semantic indications and functional alignments between the two.

The nature of this study necessitates an analytical and comparative approach to examine the fundamental pillars of daily life across all societies, as they constitute the basis of existence and coexistence. The research explores how the Imam defined interactions with leaders, subjects, relatives, coreligionists, followers of other faiths, and even enemies in times of war and peace. Furthermore, it highlights the most prominent Quranic military directives and demonstrates how Imam Ali (PBUH) practically implemented them during his battles.

Keywords: The Holy Quran, Sermons of Imam Ali (PBUH), Social Relations.

المقدّمة

يسعى البحث إلى تسليط الضوء على أهمّ العلاقات الاجتماعية التي بيّنها القرآن الكريم وحثّ عليها، وترجمتها على أرض الواقع عبر كلام الإمام عليه السلام وأفعاله.

استند البحث إلى خطب الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة، وعمد إلى عرضها على الآيات القرآنية للوقوف على أهمّ العلاقات الاجتماعيّة، فتناول البحث علاقات مختلفة منها، علاقة الزوجة، والابن، والعشيرة ، ... وغيرها.

التمهيد: العلاقات الاجتماعيّة

يقصد بالعلاقات الاجتماعيّة: ((ما كان من صلة بين اثنين أو أكثر، في مجالات شتّى، يترتّب عليها علاقة اجتماعيّة، أو هدف اجتماعي))[١]، فحيثما وجد مجتمع إنساني برزت تلك الروابط[٢] التي هي عبارة عن حلقات قد تضيق لتقتصر على الأسرة، أو تتّسع لتشمل علاقات النسب، والقرابة، والجيران، والمصاهرة، والعمل، والأعداء ... وغيرها؛ لذلك فهي:((مجموعة الروابط، والصِلات الاجتماعية التي تؤلِّف بين الناس وتنظّم ارتباط الأفراد بعضهم ببعض، ويغلب عليها طابع الحبّ والمودّة وشدّة التمسّك))[٣]، أو الكره والعداوة والحقد.

تنشأ العلاقات الاجتماعيّة من جملة التفاعل القائم عبر الاتّصال بين الأفراد من أجل إشباع الحاجيّات التي يسعون إليها؛ لذا فهي مصدر مهمّ لسيرورة الحياة واكتمالها ودوامها[٤].

لقد حدّد القرآن الكريم أوّل الأمر أنّ الأصل البشري واحد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾، ثمّ جاء التقسيم بعد ذلك، بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾؛ لهدف معيّن[٥]: ((لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [الحجرات: ١٣]، أي: للتواصل وعمل العلاقات الإنسانية لكن الفضل في النهاية لا يعود للقرابة وإنّما للعمل وهو (التقوى).

وبحسب الآية أعلاه تكون ((النزعة الاجتماعية في الإنسان ذاتيّة فطريّة ...،

---

(١) العلاقات الاجتماعية في السنة النبوية: المقدمة.

(٢) العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المسلم: ٤٤.

(٣) العلاقات الإنسانية مفهومها وتطبيقاتها في القرآن الكريم: ٦.

(٤) ينظر: العلاقات الاجتماعية من منظور سوسيولوجي: ٤٩٤.

(٥) ينظر: المجتمع الإنساني في القرآن الكريم: ٥١٠ .

فالإنسان خلق بشكل يؤدّي إلى تشكيل الشعوب والقبائل والتعارف الذي هو شرط أساس للحياة الاجتماعية)) [1]، وبحكم هذا كان لا مناص من تنظيم تلك التشكيلات الجماعيّة، ووضع أسس لتعاملاتها .

وقد وضع الله تعالى في كتابه الكريم القوانين الإلهية كافة، وما يجب على المسلم العمل به في تنظيم أموره الحياتية بمختلف جوانبها: النفسية، والشخصية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وكلّ ما يتعلّق به لعيش حاضره وبناء مستقبله، فجاءت التعاليم الإلهية شاملة، وقد رُسمت تلك الحدود في القرآن الكريم، أو السنّة النبويّة الشريفة، أو ما أوضحه أهل البيت عليهم السلام، فما كان غامضًا أو مجملًا جاء تفصيله وبيانه عن طريق النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله، والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

والعلاقات الاجتماعية بين البشر من الجوانب المهمّة التي بيّن حدودها الله تعالى في القرآن الكريم، وأكّدت على حفظها وصيانتها الأحاديث النبوية، وخطب أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وسيعرض هذا البحث بعض تلك العلاقات في القرآن الكريم وممّا جاء في أقوال الإمام عليّ عليه السلام وأفعاله.

المبحث الأوّل: العلاقات الاجتماعيّة داخل الأسرة

١ - الزوجة:

يعدّ الزواج من العلاقات الاجتماعية المهمّة في حياة الإنسان؛ كونه اللبنة الأساس في تكوين المجتمع؛ ليتمّ عبره تكوين أسرة قادرة على تنشئة أفراد صالحين وتكوين جيل واع داخل مجتمع سوي؛ لذلك كان الدين الإسلامي حريصًا على وضع منهج خاصّ يحدّد تلك العلاقة، ويبيّن حقوق كلّ فرد فيها وواجباته تجاه الآخر.

وقد رسم القرآن الكريم طبيعة العلاقة بين الزوجين، فبيّن تعالى الرابط

---

(١) المجتمع والتاريخ: ١/ ١٤ .

المقدّس الذي يجمعهم، بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١].

وعبّر القرآن الكريم عن الرابط بالزواج بـ(لتسكنوا)، أي: لتجدوا سكون الأمن والطمأنينة والألفة[١]، ثمّ أضاف سبحانه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، فهذا السكون مقرون بالعطف والمحبّة ((فالمودّة كأنّما الحب الظاهر أثره في مقام العمل ... وهو تأثّر نفساني عن العظمة والكبرياء))[٢]، ويبيّن حاجة كلّ منهما إلى الآخر ((فكأنّما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس))[٣].

وتتّضح هذه المودة والرحمة عند أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه عند دفن سيّدة نساء العالمين عليها السلام، بقوله: ((... قلَّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، ورقّ عنها تجلّدي، ... أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم))[٤]، فيبيّن هذا الكلام حال الإمام بعد فقد زوجه، فيصوّر لنا فقدانه لذلك السكون والأمن، فأراد إثبات أنّ حزنه لا ينقطع[٥]،((فسيبقى دائم الحزن والكآبة ومؤرق الليل لا ينام قد أسهره المصاب فسلب النوم من أجفانه وسيبقى هكذا إلى أن يستشهد ويذهب إلى جوار المصطفى))[٦]، وقد أثبتت حياة الأمير والزهراء عليهما السلام هذا، فكانت برهانًا مبينًا على ذلك .

---

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن:٨/ ٢٤٠، ومجمع البيان في تفسير القرآن:٨/ ٤٣، والتحرير والتنوير:٢١/ ٧٢ .
(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٦ / ١٧١ .
(٣) في ظلال القرآن: ٢١ / ٢٧٦٣ .
(٤) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٢ / ٤٣٤ .
(٥) ينظر: البعد الفكري والتربوي في نهج البلاغة: ١٥٨ .
(٦) شرح نهج البلاغة، عباس علي الموسوي: ٣ / ٤٣٤ .

٢- الابن:

تعد علاقة الآباء بالأبناء من أهم العلاقات، وأكثرها قوّة وصلة؛ كون الآباء هم المسؤول الأوّل عن تنشئة الأبناء تنشئة صالحة، وتربيتهم تربية صحيحة وسليمة خالية من المشاكل الأخلاقية والنفسية وغيرها.

ركّز الدين الإسلامي على هذه العلاقة كثيرا عبر وضع مبادئ أساسية وقوانين تبيّن كيفية التعامل معهم في حياتهم ، وحتى بعد الممات من خلال آلية تقسيم الإرث، عبر القرآن الكريم، أو الأحاديث النبويّة الشريفة، أو خطب الأئمّة عليهم السلام.

وقد استعمل القرآن الكريم في بعض الأحيان أسلوب الإجمال في التعبير عن الزوجة والابن بلفظة الأهل، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

واعتمد أيضًا على أسلوب التفصيل بذكر مجموعة من الوصايا من الأب إلى الابن، ونلحظ ذلك في وصية لقمان لابنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ* يَا بُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ* وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ

أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣- ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ* أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢- ١٣٣].

فيبيّن لنا النصّ القرآني أعلاه مجموعة من المواعظ الأساسية التي ينبغي أن تتوافر في شخصية الإنسان بصورة عامّة، والفرد المسلم بصورة خاصّة، ((ففي نصيحة الأب لابنه يعرض للعلاقة بين الوالدين والأولاد في أسلوب رقيق، ويصوّر هذه العلاقة صورة موحية فيها انعطاف ورقة))[١].

ابتدأ لقمان الحكيم وصاياه بالجانب الأهمّ، وأوّل أصول الدين هو التوحيد؛ كونه أساس الوجود قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فضلًا عن كونه السبيل الوحيد للنجاة، وتركه ذنب لا يغتفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]، ((فأعظم المعاصي معصية الله لعظمته وكبريائه))[٢]، ثمّ انتقل بعد ذلك لذكر القيم الاجتماعية الأساسية لبناء الفرد من جانب، والمجتمع من جانب آخر التي تتمثّل بـ(عدم الظلم، الصلاة، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، التواضع، غضّ البصر، عدم رفع الصوت ...).

وللإمام عليّ عليه السلام في هذا المجال خطبتان؛ الأولى كتبها للإمام الحسن عليه السلام عند انصرافه من صفّين، منها: ((... فإنّي أوصيك بتقوى اللهِ -أي: بُنيّ- ولزوم أمره،

(١) في ظلال القرآن: ٢١ / ٢٧٨٨ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٦ / ٤٠١ .

وعمارةِ قلبك بذكره، والاعتصامِ بحبله، وأيُّ سببٍ أوثقُ من سببٍ بينك وبين اللهِ إن أنت أخذتَ به)) [١]، ونستطيع أن نتلمّس عبرها الخط المتماثل بين القرآن الكريم، وخطب الأمير عليه السلام .

إنّ أوّل ما يلفت الانتباه في الوصية هو وصف الإمام عليّ عليه السلام للعلاقة بين الأب والابن، بقوله: ((... ووجدتُكَ بعضي، بل وجدتُكَ كُلّي، حتّى كأَنَّ شيئًا لو أصابَكَ أصابني، وكأنَّ الموتَ لو أتاكَ أتاني فَعَنَانِي من أمرِكَ ما يَعنيني من أمرِ نفسي، فكتبتُ إليك مستظهرًا به إن أنا بقيتُ لك أو فنيتُ)) [٢]، بهذه الكلمات المؤثّرة والعطوفة التي تحمل بين معانيها الحنان والرقّة أراد الإمام عليه السلام أن يعلّمنا وجوب الاهتمام بأنفسنا والاستعداد للقاء الله تعالى، وجزء من هذا الاستعداد يتطلّب النظر فيما نتركه خلفنا وهم (الأولاد) إذ هم الجزء المكمّل للحياة، وفيهم يجد المرء سعادته ونجاته [٣].

ابتدأ الإمام علي عليه السلام وصيّته بالتقوى، وقد وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وبصيغ مختلفة تنوّعت بين الأسمية والفعلية، فالتقوى: ((حفظ الشيء ممّا يؤذيه، ويضرّه)) [٤]، فهي خير زاد كما وصفها تعالى بقوله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، إذ ((تمثّل الخضوع لله في الجوارح)) [٥]، فعندما يوصي الإمام عليه السلام بالدعوة إلى شيء معيّن باستعمال لفظ قرآني ((فإنّه يعمد إلى نقل اللفظة القرآنية من محيطها الدلالي القرآني وتوظيفها في موقعه الفني

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٥٢٧ .
(٢) م. ن .
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٧١ .
(٤) المفردات في غريب القرآن: ٦٨٨ ، وينظر: ذوي بصائر التتمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢/ ٢٩٩.
(٥) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٧٢.

الذي هو فيه يستغلّ ما لهذه اللفظة من معان أضافها عليها محيط النصّ السابق نفسه، ويستغلّ انطباعها واستقرارها في الأذهان)) [1].

دعا الإمام عليه السلام في وصيّته ابنه إلى التوحيد أيضًا عبر إثبات وحدانية الله تعالى بالدليل العقلي، بقوله: ((واعلم - يا بُنيّ أنّهُ لو كان لربِّكَ شريكٌ لأتتكَ رُسلهُ- ولرأيتَ آثارَ ملكِهِ وسلطانهِ، ولَعرفتَ أفعالَهُ وصفاته، ولكنّهُ إلهٌ واحدٌ كما وصفَ نفسه، لا يضادَّهُ في ملكِه أحدٌ، ولا يزول أبدًا ...))، وهذا منهج قرآني في الاستدلال إذ قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وكذلك ضمّت وصية الإمام عليه السلام مبادئ اجتماعية، وقيم إنسانية، وأخلاقية لا تحصى، ولا يتّسع المجال لذكرها في هذا البحث؛ لذا سنحاول أن نذكرها بإيجاز تامّ.

إذ نلحظ إنّ الإمام يأمر ابنه بصيغة فعل الأمر المباشر بإحياء قلبه بأمور عدّة بقوله: ((أحيّ))، إذ تعمل على تصفية القلب وتطهيره، منها: ((الموعظة، والزهد، واليقين، وخشية الله، وذكر الموت، وتذكيره بأخبار الماضين والاعتبار منهم، وإصلاح الآخرة، وترك الدنيا والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والصبر، ومساعدة الناس...))، ويستطع المتأمّل لكتاب الله - عزّ وجلّ- أن يعرف الترابط بين هذه الوصايا والدعوات الإلهية المباشرة، وغير المباشرة لمثل هذه الأوصاف التي جعلها تعالى من صفات المؤمنين.

كلّ وصيّة من تلك الوصايا لها غاية اجتماعية هدفها الأساس إصلاح المجتمع، وإنشاء أجيال ذات منفعة، ترتبط ببعضها ارتباطًا يستند إلى التعاون، والأخـوّة، والمبادئ الأخلاقية السامية، ففي خشية الله وذكر الموت إصلاح

(١) الأثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون): ٦٤.

للنفس، وحمايتها من ملذّات الحياة، وتجنّب السيّئات فضلًا عن ((لا تدريب للقلب على تحمّل المشاقّ مثل ذكر الموت؛ لأنّ من أكثر من ذكره سهلت عليه المتاعب، وهانت عليه كلّ المصائب))[١]، وكذلك الأمر بالنسبة للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فهما ((من أهمّ وسائل الرسالة الخاتمة في تحقيق وحدة المجتمع الإنساني في إطار المعروف، والإصلاح بين الناس، الأمر الذي يحفظ لها وحدتها التي يمزّقها المنكر والشرّ والفساد، فتنطلق فكرة هذا الواجب من الشعور بالمسؤولية المشتركة بين أبناء الجماعة، تجاه الجماعة ومصالحها العامّة، وهذه المسؤولية المشتركة هي أسس النهج الإسلامي في تحقيق الوحدة))[٢]، فالغرض منهما ((الإرشاد العامّ ليمتنع الضالّ عن شروره، ويسير الخير في طريقه، وذلك بإرشاد الفضلاء، فتكون الجماعة في فضيلة ظاهرة تتعاون على الخير ولا تتعاون على شرّ قط))[٣]؛ لذا نلحظ أنّ الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة الشريفة وخطب الإمام عليه السلام ووصاياه قد حثّت عليها.

أمّا التذكير بأحوال الماضين فهو أسلوب قرآني في أخذ العبرة منهم، وعدم الوقوع فيما وقعوا فيه من عناد وتكذيب، وفي مساعدة الناس تتحقّق العدالة الإلهية والتكافل الاجتماعي وتتزكّى الأنفس، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وأوضح الإمام عليّ عليه السلام في هذه الوصية جانبًا اجتماعيًا مهمًّا إذ حدّد كيفية النظر للآخرين، وطريقة التعامل معهم، بقوله:((يا بُنيّ! اجعلْ نفسَكَ ميزانًا فيما بينك وبين غيرِك، فأحبب لغيرك ما تُحبُّ لنفسك، واكره لهُ ما تكرهُ لها، ولا تَظْلِم

(١) جواهر من كنوز الوصي: ١٨١ .
(٢) المجتمع الإنساني في القرآن الكريم: ٤٩٤ .
(٣) التكافل الاجتماعي في الإسلام: ٨ .

كما لا تحب أن تُظْلَم، واحسنْ كما تُحبُّ أن يُحسنَ إليك، واستقبح من نفسِكَ ما تستقبِحُهُ من غيرِك، وارْضِ من الناسِ بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلمُ، وإنْ قَلَّ ما تعلمُ ، ولا تقلْ ما لا تحبُّ أن يقال لك))، هذه قاعدة تربوية وأخلاقية ينبغي أن ينطلق منها الإنسان في سلوكه[١]، ((فاجعلها- نفسك- معيارًا صادقًا فيما بينك وبين من تعامله من الخلق))[٢]، أي: تكون نفسه مقياسًا لغيره، فكما يكره أن تتمّ معاملته بالسوء والظلم أو التعرّض للإحراج عليه أن يفعل الشيء نفسه مع غيره من الناس بغضّ النظر عن انتمائهم أو أحوالهم، وفي الوقت نفسه أن يتعامل مع الناس كما يحب أن يعاملوه باحترام وتقدير.

والوصية الثانية للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام كتبها بعدما ضربه ابن ملجم (لعنه الله)، بقوله: ((أوصيكما وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وإصلاح ذات بينكم فإنّي سمعت جدّكما صلى الله عليه وآله يقول: (صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام)))[٣]، نلحظ أنّ الإمام عليه السلام في هذه الوصية قد ابتدأ أيضًا بالتقوى لما لها من آثار عظيمة في تهذيب النفس وتوجيهها نحو الصواب فهي ((الحذر من الله والخوف منه))[٤]، والابتعاد عن كلّ ما أمر تعالى بتجنّبه.

ومن الأمور الاجتماعية المهمة التي أوصى بها هنا هو (إصلاح ذات البين) ويقصد به: أن يكونوا على انسجام ووفاق فيما بينهم وإذا ما حدث شقاق أو اضطراب في علاقاتهم عليهم السعي في إصلاحها وتجاوز الخلافات جميعًا[٥].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣١٧ .
(٢) الديباج الوضي في كلام الوصي: ٥/ ٢٢٢٨ .
(٣) نهج البلاغة:٣/ ٥٣٣ .
(٤) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٤٨٩ .
(٥) ينظر: م. ن.

٣- العشيرة والنسب:

عشيرة الرجل: ((بنو أبيه الأدنون، وقيل: هم القبيلة[١]، والنسب: القرابة، وقيل: هو في الآباء خاصّة))[٢] .

تعدّ العلاقة بين أفراد العشيرة الواحدة من أبرز العلاقات الاجتماعية، فهي موجودة منذ القدم، ويشترك أبناؤها بروابط متعدّدة، أهمّها: الدم، والأعراف، والتقاليد، واللغة، ... وغيرها، وعندما جاء الإسلام لم ينه تلك الروابط نهائيًا، إذ أبقى على بعض الجوانب التي لا تتعارض مع تعاليمه من جهة، وفيها نفع للفرد والمجتمع من جهة أخرى.

وقد عبّر الله تعالى عن الانتماء لهذه الصلة بألفاظ عدّة[٣]، منها: (العشيرة)، إذ وردت هذه الكلمة ثلاث مرات في القرآن الكريم[٤]، ونلحظ أنّه تعالى لم يذكر في كتابه الكريم بصورة مباشرة تفاصيل التعامل مع هذه الدائرة الاجتماعية، ولكن نستطيع أن نلحظ تميّز أفرادها عن غيرهم، ونتلمّس أثرها في حياة الفرد داخل مجتمعه، في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فأمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله ((بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هم أولى بالبداءة، ثمّ بمن يليه، وأن يقدّم إنذارهم على إنذار غيرهم))[٥] وقيل: ((إنّما

---

(١) لسان العرب: ٤ / ٥٧٤ .

(٢) م. ن: ١ / ٧٥٥ .

(٣) منها: أخاهم، ينظر: سورة الأعراف: ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ ، سورة هود: ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ ، سورة النمل : ٤٥ ، وأخوهم، ينظر: سورة الشعراء : ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ((فالأخ أحد الولدين لواحد، وإنّه قال لهود أنّه أخوهم لأنّه كان من قبيلتهم)). التبيان في تفسير القرآن: ٤/ ٤٤١ .

(٤) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٦٢ .

(٥) الكشاف: ٤ / ٤١٩.

خصّ في الذكر إنذار عشيرته الأقربين؛ لأنّه يبدأ بهم، ثمّ الذين يلونهم...، وقيل: لأنّه يمكنه أن يجمعهم ثمّ ينذرهم))[١]، فضلاً عن بيان ((أنّه لا يخُلّص أحدًا منهم إلّا إيمانه بربّه عزّ وجلّ))[٢]، وتنبيهًا على عدم وجود أيّ استثناء في دعوته، فينذر الأقربين ويحذّرهم ليتّعظ غيرهم فلا مساومة في هذا الأمر[٣].

أمّا في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود:٩١-٩٢]، فاللفظة الدالّة على العلاقة الاجتماعية (الرهط)، فرهط الرجل: قومه وقبيلته، وعشيرته وأهله[٤].

وسياق الآية الكريمة يتضمّن الردّ على النبيّ شعيب عليه السلام بعد أن وعظهم ودعاهم لعبادة الله، فكان حالهم وجوابهم كغيرهم ممّن سبقهم من الأقوام، وهو الرفض والتهديد، فكانت عشيرته المانع الذي منعهم عن رجمه وأذيّته، فكان أثر الرهط هنا نوع من الحماية لشعيب بحسب نظرهم، ((لولا هذا النفر القليل الذين هم عشيرتك لرجمناك، لكنّا نراعي جانبهم فيك، وفي تقليل العشيرة إيماء إلى أنّهم لو أرادوا قتله يومًا قتلوه من غير أن يبالوا يومًا بعشيرته، وإنّما كفّهم عن قتله نوع احترام وتكريم منهم لعشيرته))[٥]، بمعنى آخر: ((لولا حرمة عشيرتك وقومك لقتلناك بالحجارة))[٦].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٨ / ٦٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١٠ / ٣٧٥.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٠ / ٣٧٥ ، والكشاف: ٤ / ٤١٩ ، والتبيان في تفسير القرآن: ٨ / ٦٧، والميزان في تفسير القرآن: ١٥ / ٣٢٩.

(٤) لسان العرب: ٧ / ٣٥٠ .

(٥) الميزان في تفسير القرآن: ١٠ / ٣٦٣.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥ / ٢٥٠.

ونستطيع أن نتبيّن من هذا أنّ القرآن الكريم لم يمدح العشيرة، أو يوصِ بها مباشرة وإنّما نقل لنا صورًا توضّح أثرها في الحياة، وحاجة الأفراد إليها.

ومن الجدير بالذكر أنّ الله تعالى قد أشار في أكثر من موضع لمراعاة صلة الرحم، ((وصلة الرحم تعني الإحسان إلى الأقربين، وإيصال ما أمكن من خير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم))[1]، وجعل وصلها من واجبات المسلم، وأنّهم أولى ببعضهم في العناية والرحمة والإحسان، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنْكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦]، وفي المقابل نهى عن قطع الأرحام، وذمّ قاطعها ولعنه، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٢-٢٣]، وقوله تعالى محذّرًا من قطع الأرحام: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أمّا الإمام عليّ عليه السلام، فيقول في خطبة له: ((أيّها الناسُ! إنه لا يستغني الرجلُ، وإن كان ذا مالٍ عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظمُ الناسِ

(١) العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المسلم في القرآن الكريم: ٧٣ .

حيطةً من ورائه، وألمُّهُم لشعثِهِ، وأعطفُهُم عليه، عند نازلةٍ إذا نزلت به، ولسانُ الصدقِ، يجعلهُ اللهُ للمرء في الناس، خيرٌ له من المال يُورِّثُهُ غيرهُ))[١].

وقوله أيضًا: ((ألا لا يعدلنَّ أحدكُم عن القرابة يرى بها الخصاصةَ أن يَسُدَّها بالذي لا يزيدُهُ إن أمسكَهُ، ولا ينقصُهُ إن أهلكه، ومن يقبض يدَهُ عن عشيرته، فإنّما تقبضُ منه عنهم يدٌ واحدة، وتقبض منهم عنه أيدٍ كثيرةٌ، ومن تَلِن حاشيته يستدم من قومه المودة))[٢].

لقد فصّل الإمام عليّ عليه السلام القول في بيان مسؤولية الفرد تجاه أقاربه الذين هم من بني عشيرته؛ فعدّهم الأجدر بالاهتمام والحفظ والرعاية ولا غنى عنهم وإن كنت متمكّنًا ماديًا، ((وأن سرّ هذا التشدّد في التوصيات الإسلامية - في القرآن الكريم، أو عند الإمام عليّ عليه السلام -على الجماعة يكمن في إنّ هدف التعامل بين الناس، أي: إقامة العلاقات، هو تحقيق التوازن الاجتماعي والعبادي للجماعة والمجتمع والأمّة، أي: إشاعة الحبّ بين الجماعة المتفاعلة وتجسيدها في ممارسات تعاونية فيما بينها بحيث تمتصّ كافة التوترات التي تحدث بين التصادم بين المصالح))[٣].

ولهذا الأمر آثار اجتماعية عدّة، منها:

١. تحقيق صلة الرحم التي أمر القرآن الكريم بها.

٢. تحقيق الأخوّة الإنسانية، قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال:٧٥].

---

(١) نهج البلاغة ،شرح محمد عبده: ٨٢ ، ٨٣.

(٢) م.ن: ٨٣.

(٣) الإسلام وعلم الاجتماع: ١٩٦.

٣. تحقيق مبدأ التعاون الذي حثّ القرآن الكريم عليه، ﴿وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

٤. تحقيق التكافل الاجتماعي[١]، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٥. تحقيق الأمان والاستقرار في حياة الفرد الذي ينعكس ايجابيًّا على المجتمع.

٦. تحقيق التماسك والترابط الاجتماعي.

٧. صيانة القيم الاجتماعية والأخلاقية والإنسانية.

يرى الإمام عليه السلام أنّ من يمدّ يد العون لأقربائه يستمدّ من قومه المودّة والوقار والجاه من جانب، أمّا الشخص البعيد عن قبيلته مثلًا، ولم يشاركهم في أحزانهم وأفراحهم إنّما هو فرد واحد تستطيع العشيرة تعويضه، بينما هو لا يستطيع تعويضهم في حال أصابته أحدى نوائب الدهر من جانب آخر، وهذا ما نجده في أغلب عشائرنا حاليًّا من وجود ما يشبه صندوق التكافل الاجتماعي؛ لذا فقد نهى عليه السلام عن إهمال القريب لما فيه من ضرر كبير على وجود الإنسان، فبيّن أنّ العلاقة بينهما علاقة أخذٍ وعطاء، فلا غنى لكلٍّ منهم عن الآخر.

---

(١) ينظر: سورة النساء: ٣٦، ٣٩، سورة الطلاق: ٧، سورة البقرة: ٢٦١، ٢٦٢، سورة الإسراء: ١٦.

المبحث الثاني: العلاقات الاجتماعيّة خارج الأسرة

١ - الجيران:

عنى القرآن الكريم بعلاقة الجار، فالإنسان يقضي أغلب حياته بالقرب من جاره، فينبغي عليه الإنعام إليه، والتعاطف معه، ومشاركته في أفراحه وأحزانه، وهذا ما أمر الله به في كتابه، بقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

فقد تضمّنت هذه الآية الكريمة أكثر من علاقة اجتماعية (الوالدين، ذي القربى، اليتامى، الجار ذي القربى، الجار الجنب، الصاحب بالجنب، المساكين، ابن السبيل، وما ملكت أيمانكم)، فهذه العلاقات تتدرّج بين العلاقات المباشرة (الوالدين، ذي القربى، بعض الأيتام)، والعلاقات غير المباشرة، ومن الملفت للنظر أنّ الله تعالى قرن الإحسان إلى أولئك الأشخاص - وخاصة الوالدين- بعبادته، وعدّ الإشراك به للاهتمام والعناية بذلك[١]، وقسّم الله تعالى الجار بحسب هذه الآية الكريمة إلى ثلاثة أقسام، ولكلّ منهم حقوق[٢]؛ (الجار ذي القربى، الجار الجنب، الصاحب بالجنب).

لقد أكّد الإمام عليّ عليه السلام على ضرورة تقوية هذه العلاقة عبر وصيته، بقوله: ((الله الله في جيرانكم! فإنّهم وصيّة نبيّكم، ما زال يوصي بهم حتّى ظنّنا أنّه سيورّثهم))[٣]، وجعلها مطلقة ومعرفة، فشملت بذلك الأقسام الثلاثة التي ذكرها

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٥/ ٤٩ وما بعدها .

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٥/ ١٥٦.

(٣) نهج البلاغة: ٣/ ٣٠.

تعالى في الآية السابقة، واستند في وصيّته لبيان وجوب الاهتمام بالجار إلى وصيّة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤].

إنّ هذا التركيز على الجار نابع من أثره العظيم في المجتمع، فبحفظه وإعطائه حقّه، وصيانة أهله وماله، وحمايتهم يتحقّق الأمان ويستطيع المرء أن يطمئنّ على أهله في حضوره وغيابه من جانب، ويسود الودّ والرحمة والألفة في ذلك المجتمع من جانبٍ آخر.

٢- الأسرى:

نفى القرآن الكريم وجود الأسرى عند الأنبياء، بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٧]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٠]، أي: ((ما كان لنبيٍّ أن يحبس كافرًا للفداء والمنّ حتّى يثخن في الأرض))[1]، فالدين الإسلامي إنّما هو دين رحمة، فلا يقبل أن يعذّب أحدًا ولو كان كافرًا، من هنا نلحظ في وصيّة الإمام عليّ عليه السلام لولديه أنّه أوصاهم بأسيرهم - قاتله ابن ملجم - بقوله: ((انظروا، إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثّلوا بالرجل؛ فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور))، فنلحظ أنّ الإمام عليه السلام ما طلب إلّا القصاص.

وروي إنّه عليه السلام قال: ((إنّه أسير، فأحسنوا نزله، واكرموا مثواه، فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن متّ فاقتلوه قتلتي))، وقال: ((ما فعل ضاربي؟ قالوا: قد أخذناه.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن حديد: ١٧ / ١٠ - ١١.

قال: اطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن أنا متّ فاضربوه ضربة لا تزيدوه عليها)) [1]، كيف لا تكون هكذا وصيّته، وقد قال فيهم تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨ - ٩].

ومن الجدير بالذكر أنّه بالرغم من كلّ هذه التوصيات بالعلاقات الاجتماعية، والحثّ عليها بطرق مختلفة إلّا إنّها تنتهي بمجرّد أن تصطدم مع مخالفة الإسلام ومحاربته، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة ٢٣ - ٢٤].

وتتّسع العلاقات الاجتماعية أكثر لتتجاوز العائلة، والجيران، والأقارب والأصدقاء، ويمكن أن ترتبط تلك العلاقات بجوانب سياسية، واقتصادية، كعلاقة المسلمين مع بعضهم، وعلاقة المسلمين مع غيرهم، وعلاقة الوالي مع رعيّته والعكس، ولم يترك الله تعالى هذه الأمور لتكون فوضى بل بيّن ذلك عبر آيات قرآنية مختلفة، وكذلك الأمر بالنسبة للإمام عليّ عليه السلام ، فنلحظ أنّ هناك الكثير من الخطب وجّهها لولاته بين بيان ما يوجب عليهم فعله ومداراته، وما ينبغي عليهم تجنّبه والابتعاد عنه، بين مدح لأحدهم، وذمّ لآخر، وسنقف على بعض تلك الجوانب:

٣- علاقة الوالي بالرعية:

تعدّ هذه العلاقة من أهمّ العلاقات وأكثرها خطرًا؛ كونها لا تتعلّق بشخصٍ

(١) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: ٧/ ٢٥٠.

واحد فحسب بل تشتمل على مجموعة من الناس يمتلك الأوّل السلطة الكاملة وبيده يمكن أن يتحكّم بمصير الثاني، حياته، رزقه، وأمنه،... وغيرها ؛لذلك نلحظ في خطب الإمام عليه السلام مجموعة من الوصايا لمن يولّيهم أمر الناس.

وتتعلّق هذه العهود بالمبادئ الإسلامية التي أمر بها الله تعالى في كتابه الكريم، وعمل بها رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله، وسنقتصر في بيان هذه الوصايا على رسالة الإمام عليّ عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر حين قلّده مصر، وعهده عليه السلام لمالك الأشتر لمّا ولّاه أمر مصر كذلك، إذ قال عليه السلام في عهده لمحمّد بن أبي بكر:((فاخفضْ لهم جناحَك، وألنْ لهم جانبَك، وابسطْ لهم وجهَك، وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة، حتّى لا يطمعَ العظماءُ في حيفك لهم، ولا ييأسَ الضعفاءُ من عدلك عليهم))[1] .

إذ ابتدأ الإمام عليه السلام عهده بإعطاء الوصايا بصورة مباشرة بصيغة أفعال الأمر من دون أيّ مقدّمات، وابتدأ بقوله: ((فاخفض جناحك))، وهي كناية استعملها القرآن الكريم مرّتين يبيّن فيهما تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله طبيعة التعامل مع المؤمنين، بقوله: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]،أي: ألن لهم جانبك وتواضع لهم وأرفق بهم[2]، وساوِ بينهم فلا تفضيل لأحدٍ منهم على الآخر[3] في المعاملة والرفق والعطاء وأمور الحياة كافّة، فدعا بذلك إلى العدل، فأراد أن يؤكّد المبدأ الإلهي القرآني في التعامل مع الرعيّة، وخاصّة المؤمنين.

---

(١) نهج البلاغة:٣/ ٥١٦

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦ / ٣٥٣، ٨/ ٦٧ ، والميزان في تفسير القرآن: ١٢/ ١٩١ ، ومفاتيح الغيب: ١٩/ ٢١٥ ، والكشاف: ٣/ ٤١٨ .

(٣) ينظر: الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي: ٥ / ٢٢٢٨.

إنّ هذه الأوامر التي ذكرها الإمام عليّ عليه السلام تجعل العلاقة بين الوالي (الحاكم) ورعيّته طيّبة، ولعلّ سبب تأكيده على تلك الأمور(الرأفة، الرحمة) وإصراره عليها هو ما ذكره تعالى لنبيّه، بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالمحبّة، والرحمة تجذب البشر، وتهيّء أنفسهم لقبول الحاكم من جهة، ولفعل الصواب من جهة أخرى، فضلًا عن امتلاك قلوبهم بجعلهم معه، وينصرونه عند الحاجة.

أمره - بعد ذلك- أيضًا بالحذر من الموت، والاستعداد له؛ لأنّه حقيقة مطلقة لا شكّ فيها، إذ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وإنّ أمركم بعده إمّا الجنّة وإمّا النار، فأثبت ذلك الإمام عليه السلام، بقوله: ((فاحذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدّوا له عدّته فإنّه يأتي بأمر عظيم، وخطب جليل، بخير لا يكون له شرّ أبدًا، أو شرّ لا يكون معه خير أبـدًا))[١]، فمَن يؤمن بأنّ وراءه حساب وعذاب فلا يظلم أحـدًا، وبهذا يسود العدل.

أمّا قوله: ((فإنّه لا سواء إمام الهدى، وإمام الـردى))[٢]، فيبينّ هنا عليه السلام إنّ الحاكم إمّا أن يدعو إلى الهدى، فينجو هو ومن اتّبعه ، وإمّا يدعو إلى الضلال، فيهلك هو ومَن تبعه، وهذا التقسيم أشار إليه القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٥١٧.
(٢) م. ن: ٣/ ٥١٨.

هُمْ مِنْ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤١-٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وفي موضع آخر يذكر عليه السلام في عهده لمالك الأشتر جملة من الأوامر يبيّن فيها ما يجب على الوالي فعله مع رعيّته إذ ابتدأ أوّل الأمر بالحثّ على التقوى، وطاعة الله، وترك الشهوات، واتّباع ما أمر الله به، والدعوة إلى العمل الصالح، ثمّ بعد ذلك عمد بإعطاء وصاياه، ولعلّ سبب هذا؛ لتكون مقدّمة لتهيئة النفس وتهذيبها عبر تذكيرها بالله تعالى، فأوصى الإمام عليه السلام مالك الأشتر بالرأفة برعاياه ومداراتهم والعناية بهم، بقوله: ((واشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سَبُعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق))[1]، ثمّ قسّم الإمام عليه السلام الناس إلى صنفين: أخ في الدين، ونظير في الخلق (الإنسانية)، فلا ينبغي ظلم أيّ أحد منهما.

الصنف الأوّل: -أخٌ لك في الدين- أثبته القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالغاية من هذه الأخوّة التي تعدّ ((أهم الأسس التي وضعها القرآن الكريم لبناء المجتمع الإنساني الصالح))[2]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، فيمكن في الدين الإسلامي أن تكون الأولى بالنصر والرحمة هي أخوّة الدين والإيمان، بحسب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٥٧٢ .

(٢) أسس العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الأمن الاجتماعي: ١٧٦ .

اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤].

عندما صرّح الله تعالى بمبدأ الأخوّة بين المسلمين أصبحت ((من أعظم الحقوق التي فرضها الله سبحانه))[١] عليهم، فمن واجب المسلم استنادًا إلى ذلك رعاية أخيه، ونصحه، وحمايته، وفعل كلّ ما يمكن أن يجعله يعيش بأمان واستقرار، وفي الوقت نفسه ابعاده عن كلّ سوء يمكن أن يعرضه للخطر.

أمّا الصنف الثاني: - نظير لك في الخلق- فالإسلام لم يقاتل غير المسلمين أو يعاديهم مالم يرفعوا السلاح ضدّه، فهم في تعايش دائم مع المؤمنين ولهم حقوق ((بشرط أن يراعوا الأعراف العامّة التي يتقيّد بها المسلمون، ويلتزموا بالعهود والمواثيق المبرمة بينهم))[٢]، فقد قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، فالإمام عليه السلام استند في وصيّته إلى الإساس القرآني الذي وضعه الله تعالى؛ فبرّ الأوّل كونه أخاك في الدين، وبرّ الثاني كونه شريكك في الإنسانية.

ونلحظ في قوله عليه السلام : ((ولا تُدْخلَنَّ في مشورتك بخيلًا يعدلُ بك عن الفضل، ويعدُكَ الفقرَ، ولا جبانًا يُضعِفُك عن الأمور، ولا حريصًا يُزَيِّنُ لك الشَّرَهَ بالجور، فإنّ البُخلَ، والجبنَ، والحرصَ، غرائزُ شتّى يجمعُها سوءُ الظنِ بالله))[٣].

---

(١) العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم: ١٣٤.

(٢) أسس العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الأمن الاجتماعي: ١٧٦ .

(٣) نهج البلاغة: ٣/ ٥٧٥ .

والشورى مبدأ قرآني، إذ أمر به تعالى بصورة مباشرة، بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ((أي: استخرج آراءهم وأعلم ما عندهم)) [١]، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]، إذ جعلها من صفات المؤمنين.

ونلحظ في عهد الأمير عليه السلام أعلاه أنّه قد حثّ على المشاورة، ولكنّه في الوقت نفسه نهى عن مجموعة من الصفات إذا توافرت أحدها في شخص معيّن فيجب تجنّب مشورته؛ لأنّه ينفي الغرض الأساس من الشورى، وهو الوصول إلى الرأي السليم والأمر الصواب، وهذا ما أكّده عليه السلام في موضع آخر، بقوله: ((من استبدّ برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركهم في عقولهم))[٢] ، وهو أيضًا يبيّن في النصّ سبب عدم مشورتهم، ففي مشاورة البخيل يبتعد عن الفضل والغنى ويقترب من الفقر وهو بهذا نقل اللفظة إلى بعدٍ آخر ((فقد نقل اللفظ الأخير من موقف إلى موقف، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]))[٣]، وكذلك الأمر مع الجبان، فهناك الكثير من المواقف في الحكم والسلطة تتطلّب الشجاعة والجرأة .

إنّ الغاية الاجتماعية من الشورى هي تقريب الناس للحاكم وإلغاء الحاجز بينهم فضلًا عن معرفة ما يدور في أذهانهم من أمور مهمّة تتعلّق بأسس الحكم.

لقد شدّد الإمام عليه السلام التحذير من سفك الدماء، بقوله:((إيّاك والدماء، وسفكها بغير حِلّها، فإنّه ليس شيءٌ أدعى لنقمة، ولا أعظمَ لتبعة، وانقطاع مدّة من سفك

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٤٢.
(٢) نهج البلاغة: ٣/ ٦٦٥ .
(٣) الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون: ٧٩ .

الدماء بغير حقّها...))، فالإمام عليه السلام هنا يدعو لحفظ الدماء وصيانتها، وعدم سفكها بغير حقّ؛ لما لها من آثار عظيمة على الفرد والمجتمع، وهذا ما أكّده القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢]، فقد جعل للنفس الواحدة قيمة كبيرة، وأهميّة عظمى فجعل إحياؤها احياء للناس كافّة، وقتلها قتلًا للناس كافّة، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، نلحظ أنّ الله تعالى حرّم القتل إلّا بالحقّ - القصاص- فجعل أحكامًا خاصّة لمن يقتل مؤمنًا متعمّدًا، وجعل أيضًا عقابًا شديدًا في الدنيا والآخرة لمن يقتل مؤمنًا متعمّدًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنْ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٢-٩٣]؛ فلأهميّة الأمر؛ وخطورته كان لا مناص من التحذير بتلك القوّة والشدّة من الإمام عليه السلام من سفك الدماء.

ومن الجوانب الاجتماعية التي حذّر منها الإمام الإعجاب بالنفس والتفاخر على الناس بقوله: ((وإيّاك والإعجابَ بنفسك، والثقةُ بما يعجبَك منها، وحبَّ الإطـراءِ، فـإنّ ذلـك من أوثـق فـرص الشيطان ليمحق ما يكون من إحسان

المحسنين))[1].

فإنّ العجب بالنفس، والثقة بها من الأمور التي تجعل العلاقات الاجتماعية سيّئة، فالمتكبّر والمتفاخر لا يستمع لأحد، ولا يعنى بأمر أحد سوى نفسه ومن ثَمَ لا يصلح أن يرعى شؤون الناس.

وهذا مذهب قرآني، فقد نهى تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، والعجب أحد أساليب الشيطان للتمكّن من الإنسان وإبعاده عن الحقّ وإسقاطه في الضلال، فقد قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

الخاتمة

١. أكّد الإمام عليّ عليه السلام في خطبه على حفظ العلاقات الاجتماعيّة، ومنحها حقّها، وهو مبدأ قرآني.

٢. يرى الإمامُ عليه السلام أنّ بصيانة تلك العلاقات تتحقّق أهمّ المبادئ الإسلامية والإنسانية.

٣. المتدبّر في خطب الإمام عليه السلام يلحظ التفصيل في كثير من هذه العلاقات.

٤. غالبًا ما يستمدّ الإمام عليه السلام ألفاظه من القرآن الكريم؛ وذلك لترسيخ تلك المبادئ الإنسانيّة.

---

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح: ٣/ ٤٣٩.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. الأثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون) ،عباس علي حسين، العتبة العلوية المقدسة، ط١، ٢٠١١ .

٢. أسس العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الأمن الاجتماعي، حسين علي السلطاني، مجلة كلية التربية ،عدد٢ ،٢٠١٢ .

٣. الإسلام وعلم الاجتماع، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٤ .

٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروزآبادي، المكتبة العلمية، بيروت.

٥. البعد الفكري والتربوي في نهج البلاغة دراسة هادفة لنصوص من كلام سيد البلغاء، عبد الرسول الغفاري، مؤسسة أنصاريان، إيران، ط١، ٢٠١٠ .

٦. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٧. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

٨. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمّد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرّي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١ م.

٩. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح: سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة، ط٢، ١٣٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٠. التكافل الاجتماعي في الإسلام، محمّد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٤ .

١١. جواهر من كنوز الوصي، عبد الله بن القذان.

١٢. الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي(شرح نهج البلاغة)، لأبي الحسن يحيى بن حمزة بن علي الحسيني، تح: خالد بن قاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

١٣. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة اسماعيليان، إيران.

١٤. شرح نهج البلاغة، عباس علي الموسوي، دار الرسول الأكرم، دار المحجّة البيضاء، ط١، ١٩٩٨ .

١٥. العلاقات الاجتماعية في السنّة النبويّة، محمّد خير رمضان يوسف، ١٤٤٥ .

١٦. العلاقات الاجتماعية في القرآن، عبد الله الحمد الجلالي، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٩٩٥.

١٧. العلاقات الاجتماعية من منظور سوسيولوجي، عبد العزيز فكرة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بانتة عدد(١٣).

١٨. العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المسلم، معتوق بن معتق اللحياني، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، ماليزيا،٢٠١٢-٢٠١٣.

١٩. العلاقات الإنسانية مفهومها وتطبيقاتها في القرآن الكريم، يحيى بن محمد، جامعة أم القرى.

٢٠. في ظلال القرآن، سيد قطب ، دار الشروق، ٢٠٠٣ م .

٢١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار

الله محمود بن عمر الزمخشري، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨ م.

٢٢. لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف.

٢٣. المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف، ط٢، ٢٠٠٦.

٢٤. المجتمع والتاريخ، مرتضى مطهري، ترجمة: محمد علي آذرشب، المكتبة الإسلامية الكبرى وقسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة، طهران، ط١، ١٤٠٢.

٢٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥ م.

٢٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

٢٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تمّ التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز.

٢٨. موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، محمّد الريشهري، مركز بحوث دار الحديث، ط٢، ١٤٢٥.

٢٩. الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٩٧ م.

٣٠. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمّد عبده، منشورات لقاء، قم، ط١، ٢٠٠٤.